المجلس (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، القائلِ للمؤمنين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، **والصلاةُ والسلامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ نبينا محمد القائل كَمَا جاء فِي الصحيحين:** «مَنْ يُرد اللهُ به خيرًا يُفقهُ فِي الدين».

أَمّا بَعْد:

فسلامُ اللهِ عليكم ورحمتهُ وبركاته، أيها الإخوةُ الكِرام، وأسألُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يوفقنا جميعًا للعلمِ النافعِ والعملِ الصالح، وأن يمنحنا جميعًا الفقهَ فِي دينه، والثباتَ عليه حتى نلقاه.

ثم إنه يطيبُ لنا فِي هذا اليوم أن نستضيفَ صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور/ سليمان الرحيلي، المدرس بالمسجد النبوي، وإمام وخطيب جامع قُباء، وأستاذ الدراسات العليا بالجامعةِ الإسلامية. والشيخ حفظه الله معلومٌ لدى الجميع، ولا أُريدُ أن أذكرَ مزيدًا عن ذلك حتى لا أقعَ فِي النهي فِي المدحِ والثناء، فالشيخ يعرفهُ ولله الحمد أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فِي داخلِ هذه البلادِ وَفِي خارجها.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يكتبَ خطواتهِ فِي ميزانِ حسناتهِ، وأن يُباركَ فِي علمهِ وعمله، وأن يجزيهُ عنا خير الجزاء على قبولهِ هذه الدعوة لزيارتنا فِي عاصمةِ العلمِ والعلماء الرياض، واللقاء بإخوانهِ وأبنائهِ فِي هذا اليوم العلمي المُبارك إِنْ شَاءَ اللهُ، والذي سيشرحُ فيهِ فضيلتهُ جزاهُ اللهُ خيرًا متنًا عظيمًا من متونِ أَهْل السُّنَّة، كيفَ لا، وهذا المتن لإمامِ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أبي عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني رحمة الله عليه رحمةً واسعة.

فهنيئًا لكم أيها الإخوة هذا المجلس المُبارك، أُرحبُ بكم جميعًا فردًا فردًا، لِمَنْ هم من داخلِ الرياض، وَلِمَنْ جاء من خارجِها، بل جاء من خارجِ المملكة، فحياكم اللهُ جميعًا وأترك المجالَ لفضيلتهِ فليتفضل مشكورًا مأجورًا.

❊❊❊

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، إن الحمدَ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسها ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِ اللهُ فلا مُضلَ له، وَمَنْ يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾.

أَمّا بَعْدُ:

فإن أحسنَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهُدى هُدى محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَ الأُمورِ مُحدثاتُها، وكُلَّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة، وكُلَّ ضلالةٍ فِي النار.

ثم أقولُ لإخواني وأخواتي: مرحبًا بوصيةِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مرحبًا بوصيةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها الإخوةُ والأخوات يُشرفُني أن ألتقيَ بكم فِي هذا المجلس العلمي، وفِي هذا اليوم العِلمي فِي مدينة الرياض، عاصمةِ بلادنا بلاد التوحيد، التي حمى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بها قبرَ نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن يُتخذَ عيدا، ومن أن يُقامَ الشركُ عِنده، وحمى بها ربُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قُبورَ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عِندنا فِي بلادِنا من أن تُنتهك بأعظمِ انتهاك، ألا وهو: الشِّركُ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِندها.

وهذه البِلاد التي هذه عاصمتُها لا ترى فيها بحمد الله رايةً للشركِ مرفوعة، وترى راية السُّنّةِ منصورة.

وَفِي هذا الجامع جامع الأميرة حُصة بنت عبد العزيز، هذا الجامع المُتميز منذُ إنشائهِ بإقامة الدروسِ واللقاءات العلمية النافعة، وكم خرجَ من هذا المسجد من فوائدَ عظيمة عمت بلادَ المُسلمين، وانتفعَ بها المُسلمون، بل أقولُ: وحُميَ بها منهجُ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، وذاكَ فضلُ الله عَزَّ وَجَلَّ.

وموضوعُ يومِنا العلمي هو: أُصولُ أَهْل السُّنَّة.

(والأصولُ) كَمَا تعلمون جمعُ (أصل).

والأصلُ فِي اللغة: أسفلُ الشيء، وما يقومُ عليه الشيء.

وَفِي اصطلاح العلماء: ما يُبنى عليهِ غيره، أو ما يتفرعُ عنه غيره.

والمقصودُ به هنا: قواعدُ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة التي جاءت بها السُّنّة، واتفقت عَلَيْهَا كلمةُ أَهْل السُّنَّة، وميزتهم عن غيرِهم، فَمَنْ جمعها فهو من أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، أو فِي بعضِها، أو فِي واحدٍ منها، فليس من أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة.

وهذه الأصولُ التي عَلَيْهَا مدارُ يومِنا هذا قد أجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، كان عَلَيْهَا صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسارَ عَلَيْهَا مَنْ اتبعهم بإحسان، وكتبها أئمةُ أَهْل السُّنَّة، كالإمامِ أحمد رَحِمَهُ اللهُ الذي كتبَ هذه الأصول بيده، وقالها فِي مجالسه، ونُقلت عنه بالإسناد الصحيح.

وأهلُ السُّنَّة يُقالُ لهم: أَهْلُ السُّنَّةِ، ويُقالُ لهم: أهلُ الجماعةِ، ويقالُ لهم: أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة. وهم سلفُ الأُمة، وَمَنْ اتبعهم بإحسان، أي الصحابة رضوانُ اللهِ عليهم الذين هم رأسُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعة، ثم مَنْ بعدهم يوزنُ بالصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، فَمَنْ وافقَ الصحابةَ كان مُتبعًا لهم بإحسان، وَمَنْ خالفَ الصحابةَ فِي شيءٍ مِنْ الأصول، لم يكن مِنْ أَهْل السُّنّةِ والجماعة، وهم أَهْلُ السُّنَّة التي هي الإسلام النقي الخالص، فهي كُلُّ ما ثبتَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قولٍ أو فِعلٍ أو تقرير.

ولذلك يقول البَربهاري: اعلموا أن الإسلامَ هو السُّنّة، وأن السُّنّةَ هي الإسلام.

والجماعةُ كَمَا تعلمون مقرونةٌ بِالسُّنّة، يقولُ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (السُّنّةُ مقرونةٌ بالجماعة، كَمَا أن البدعةَ مقرونةٌ بالفُرقة).

فأهلُ السُّنّة يتمسكونَ بِالسُّنّة، ويستدلونَ بكُلِ ما ثبتَ عن رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يُفرقونَ بين أحاديثِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالعبرةُ عندهم بالثبوت، فإذا ثبتَ الحديثُ عن رَسُولِ الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظموه، واستدلوا به فِي جميعِ الأمور، واتبعوهُ اعتقادًا وسلوكًا وعبادة، بخلافِ أهلِ البِدع؛ فإن جميعَ أهلِ البِدع منهم مَنْ يترك السنةُ بالكُلية ويقول إن السُّنّةَ لا تدل على اليقين، سواء كانت آحادًا أو تواترًا، ومنهم مَنْ يتركُ بعضَ السُّنّة؛ فيُفرقُ بين أحاديثِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَهْلُ السُّنَّة هم أهلُ الجماعة؛ لأنهم يجتمعونَ على الحَقّ، ويسيرونَ على ما كان عليه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ويأمرونَ بلزوم الجماعة، وينهونَ عن الفُرقة، والإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ كِبارِ أئمةِ أَهْل السُّنَّة، حتى أَنَّه عُرِفَ بإمامِ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، لكنه لم يبتدع شيئًا، ولم يُحدث شيئًا، وإنما سارَ على ما كان عليه صحابةُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصرَ ذلك.

وعندما نكسَ الناسُ فِي الفِتنة عن شيءٍ مِنْ هذه الأصول؛ ثبتَ الإمام رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

يقولُ شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وأحمدُ بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ وإن اشتُهرَ بإمامةِ السُّنّة والصبرِ فِي المِحنة، فليسَ ذلكَ لأنه انفردَ بقولٍ، أو ابتدعَ قولًا؛ بل لأن السُّنّة التي كانت موجودةً معروفةً قبله علمِها، ودعا إليها، خبرَ على امتحنهُ ليُفارقها" انتهى.

وأصول السُّنّة التي كانت موجودةً مِنْ صدرِ الإسلام ومعروفةً عند أئمةِ أَهْل السُّنَّةِ والجماعة ثابتةٌ معلومة فلا جديدَ فيها، ولا تجديدَ فيها، وإنما:

-إما مؤمنٌ بها مُعتقدٌ لها، سائرٌ عَلَيْهَا.

-وإما مُحدثٌ.

والتجديدُ فيها يكون برد الناسِ إليها، وإرشادِ الناسِ إليها، وإظهارِها إذا انعدمَ العاملونَ بها، أو قلَ العاملونَ بها، فِي مكان، كَمَا فعلَ الإمامُ المُجد ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زمنه، والإمامُ المُجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي زمنه.

☚ هذا التجديد المُتعلق بأصولِ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

أما أن يُحدثَ أصلٌ أو يُغيرَ أصلٌ؛ فهذا ليس تجديدًا، وإنما هذا إحداث يحرمُ فِعلهُ، ويجبُ اجتنابه.

ومن نعمةِ اللهِ على أُمةِ محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن إمامَ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، أحمد كتابَ هذه الأصول فِي رسالةٍ أرسلها كتبها بيده، وكان يقولُها فِي مجلسه، ونُقلت لنا، ولا زلنا نستفيدُ منها بحمد الله.

ونحنُ فِي هذا اليوم سنشرحُها شرحًا كُليًا يتناسبُ مع الوقت، ولن نُفرع.

وأنا أقول: والله لو أن طالب العِلم علِمها لفظًا لكان ذلك علمًا غزيرًا، فإذا فهمَ شيئًا مِنْ معانيها فهمًا دقيقًا كان ذلك فتحًا كبيرًا، وهذا ما أرجوهُ فِي هذا اليوم العِلمي، فليتفضل الأخ وفقهُ الله يقرأُ لنا المَتنَ.

(المتن)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياءِ والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين، اللّهمَ اغفر لنا ولشيخِنا ولوالدينا وللمُسلمينَ والمُسلمات، والمؤمنينَ والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأموات.

قال المصنفُ رَحِمَهُ اللهُ: بسم الله الرحمن الرحيم، قال: حدثنا الشيخُ أبو عبد الله يحيىٰ بن أبي الحسن البنا، قال: أخبرني والدي أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمدَ بن عبد اللهِ بن البناء، قال: أخبرنا أبو الحُسين عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشران المُعدل، قال: أخبرنا عُثمانُ بن أحمدَ بن السماك، قال: حدثنا أبو محمدٍ الحسن بن عبد الوهاب أبو النظم، قراءةً عليهِ مِنْ كتابهِ فِي شهرِ ربيعٍ الأول مِنْ سنةِ ثلاثٍ وتسعينَ ومائتين، قال: حدثنا أبو جعفرٍ محمدُ بن سُليمان المِنقري البصري بِتِنيس[1]، قال: سمعتُ أبا عبد الله أحمدَ بن مُحمد بن حنبلٍ رَحِمَهُ اللهُ يقول: (أُصولُ السُّنّة عندنا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداءُ بهم).

(الشرح)

يقولُ الإمامُ رَحِمَهُ اللهُ: (أُصولُ السُّنّة عندنا) أي عندَ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، مِنْ صحابةِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ بعدهم .

(التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداءُ بهم)؛ هذا هو الأصلُ العام عند أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، وهو أن رأسهم صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأئمتهم: صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين علمهم رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو راضٍ عنهم.

وَالنَّاسُ يوزنونَ بهم؛ فمن اتبعهم بإحسان كان مِنْ أَهْل السُّنَّةِ وعلى السُّنّةِ، وَمَنْ خالفهم لم يكن على السُّنّةِ.

---

(١) هذه فِي مِصر.

والاقتداءُ بالصحابة فرضٌ لازمٌ بالإجماع، وقد دلت عليهِ أدلةٌ كثيرة.

قال ابن ُدامة رَحِمَهُ اللّهُ: (ثبتَ وجوبُ اتباع السلف بالكتابِ والسُّنّةِ والإجماع).

مِنْ الأدلةِ العظيمة الدالة على وجوبِ لومِ السُّنّة وأنَ منهج الصحابة قرينُ السُّنّة، وأنه لا سُنّةَ بدونِ فهمهم، قولُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يعني بأن يكون الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شِق وهو فِي شِق. يأتيهِ حديثُ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيأبى أن يستسلمَ له، ويقولُ: أنا مع الجماعة، أنا معَ المُرشد، أنا مع فُلان، لا يستسلمُ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يكونُ فِي شِقٍ غير شِقِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ غير طريق المؤمنين.

وَمَنْ المؤمنونَ عند نزول الآية؟

صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَمَنْ فعلَ ذلك؛ ﴿نُوَلِّهِ﴾ فِي الدنيا ﴿مَا تَوَلَّى﴾ ويخطبُ فِي كُلِّ ضلالة، ولا يهتدي، ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ يومَ القيامة، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

مفهومُ هذه الآية: مَنْ يلزم سُنةَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتبع سبيلَ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ نهديهِ ونُدخلهُ الجنة.

فدلَ هذا على أن مُخالفةَ سبيل الصحابة ضلالٌ وسببٌ للإضلال، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وأعظمُ النَّاسِ إنابةً بعد الرُسلِّ عليهم السلام؛ هم صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن السنة جاءت أدلة كثيرة:

- منها: قولُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليأتينَّ علىٰ أُمتي ما أتىٰ بني إسرائيل حذوَ النعلِ بالنعل»، (حذو النعل بالنعل).

معلوم يا إخوة: أن النعلَ للرجل اليُمنى تُطابق النعل للرجل اليُسرى، وإنما تختلفانِ فِي جهة الانحراف، والمقصودُ هنا: تمامُ المطابقة فِي كُلِّ شيء يحصل مِنْ أُمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ يُطابق ما عليهِ بنو إسرائيل، اعتقادًا، عملًا، ونحو ذلك.

قال: «حتىٰ إن كان مَنْ أتىٰ أُمهُ علانية، كان فِي أُمتي مَنْ يصنعُ ذلك، وإنَ بني إسرائيلَ تفرقت علىٰ ثِنتينِ وسبعينَ مِلة، وتفترقُ أُمتي علىٰ ثلاثٍ وسبعينَ مِلة، كُلُّهم فِي النار، إلا مِلةً واحدة»، قالوا: مَنْ هي يا رَسُول الله؟ قال: «ما أنا عليهِ وأصحابي».

والحديثُ ثابتٌ بلا شك، كُلُّ مَنْ نظرَ فِي إسنادهِ وطُرقه، يعلمُ أن أقلَ درجاتِهِ أن يكونَ حسنا، إلا أن يكونَ مُكابرًا.

ووجهُ الدلالةِ مِنه: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسرَ الفِرقةَ الناجية بقولهِ: «ما أنا عليهِ وأصحابي».

وانظر كيفَ قرنَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما هو عليه بما عليهِ صحابته رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، ليعلمَ المؤمنُ أَنَّه لن يصلَ على السُّنّةِ إلا مِنْ طريق الصحابة.

وَمَنْ تغيا أن يصلَ إلى السُّنّةِ بغيرِ طريق الصحابة، فلن يصلَ إليها؛ لأن الطريقَ مسدود، إلا مِنْ طريقِ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد أجمعَ العلماء، علماء أَهْل السُّنَّة، بل أجمعَ أَهْل السُّنَّةِ جميعًا، بعُلمائهم وعوامِهم على هذا الأصل العظيم، وأهلُ البِدع جميعًا يُخالفونَ ما كان عليه صحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلًا أو بعضًا، ولذلك نحنُ نقول يا إخوة: إن ما عليه أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة يمتدُ بسلسلةٍ مِنْ نور إلى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما الفِرقُ كلها فلا بدَ مِنْ أن تنتهيَ إلى رجُلٍ دونَ الصحابة، ما تستطيع أن تنتسب إلى الصحابة، انظروا فِي الفِرق كلها، تنتهي إلى رجل دونَ صحابةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

وَترك الْبدع وكل بِدعَة فَهِيَ ضَلَالَة.

(الشرح)

هذانِ مُقترنان، فمن أصولِ أَهْل السُّنَّة (تركُ البدع).

والبدعةُ فِي اللغة: الشيءُ الجديدُ على غيرِ مثالٍ سابق.

والبدعةُ فِي الشَّرْع عرفها رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما أحوجنا إلى أحد، فقال: «كُلُّ مُحدثةٍ بدعة».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإياكم ومُحدثاتِ الأمور».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عملَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رد».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أحدثَ فِي أمرِنا هذا ما ليسَ مِنهُ فهو رد».

إذًا ما البِدعة؟

البِدعةُ هي التعبدُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ بما لم يكن عليهِ أمرُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلًا أو وصفًا.

وإن شئتَ قُل: البدعة كُلُّ أمرٍ مُحدثٍ فِي الدين أصلًا أو وصفًا.

فإذا أحدثَ مُحدثٌ أو عملَ بمُحدثٍ فِي الدين، لم يأتِ عن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصلِهِ، فقد ابتدع، كالمولد، المولد لا أصلَ له، ولم يُعرف فِي الأُمة إلا فِي القرن الرابع على أيدي الفاطميين الروافض، فهذا بدعة مِنْ أصله.

أو وصفهِ بأن يأتي العبدُ بمشروعٍ يتعبدُ بهِ، لكن على صفةٍ لم ترد عن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا لو قالَ لنا قائل: أنا أُريدُ أن أقول: أشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له له الملكُ وله الحمد وهو على كُلِّ شيءٍ قدير، مائة مرة.

هذه سُنة ولا بدعة؟

سُنة، لكنه ما اكتفى بهذا.

قال: «وأنا جاثٍ علىٰ رُكبتي»، أنا أُريد أني كُل يوم أقول: أشهدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ له المُلكُ وله الحمد وهو على كُلِّ شيءٍ قدير، وأنا جاثٍ على رُكبتي.

نقول: هذه بِدعة؛ لأنكَ أضفتَ المشروعَ إلى ما لم يرد؛ فهذه بدعة إضافية، بدعة بوصفِها، «وكُلُّ بدعةٍ ضلالة»؛ لأنَ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكمَ بهذا، فكانَ يُرددُ على مسامعِ أصحابه: «وشرَ الأُمورِ مُحدثاتُها، وَكُلَّ مُحدثةٍ بدعة، وَكُلَّ بدعةٍ ضلالة».

وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عربيٌّ فصيح، بل هو أفصحُ العرب، ويعلم أنَ كُلِّ تدلُ على العموم، بل إنهُ قسمَ الأمور إلى قسمين:

- سُنة.

- وبدعة.

فقال: «فإن مَنْ يعش مِنكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنتي وسُنة الخُلفاءِ الراشدينَ المهديين».

قلنا: إن السُّنّةَ مُقترنة بالصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، «تمسكوا بها، وعضوا عَلَيْهَا بالنواجذ، وإياكم ومُحدثاتِ الأمور، فإنَ كُلَّ مُحدثةٍ بدعة»، أو «فإنَ كُلَّ بدعةٍ ضلالة».

إذًا يجزمُ المُسلم ولا يستجيزُ أن يقولَ: إن مِنْ البِدعِ ما ليسَ ضلالة. كيفَ يُعارضُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وهذا الذي سارَ عليه الصحابة، والسلف رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه: "قد أصبحتم على الفِطرة" يعني: على الإسلام النقي، "بما جاء به محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنكم ستُحدثونَ، ويُحدثُ لكم، فإذا رأيتم مُحدثةً فعليكم بالهدي الأول".

وقال رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه: "إنا نقتدي ولا نبتدي".

انتبهوا يا إخوة: المُتكلم صحابي مِنْ أجل الصحابة وأفقه الصحابة رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، يقول: "إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبعُ ولا نبتدع، ولن نضلَ ما تمسكنا بالأثر".

فهذا هو أصلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة.

وما أجمل قول الحسن البصري: "السُّنّةُ والذي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ هو، بين الغالي والجافي، فاصبروا عَلَيْهَا رحمكم الله؛ فإنَ أهلَ السُّنّةِ كانوا أقلَ النَّاس فيما مضى، وهم أقلُ النَّاس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإترافِ فِي إترافشهم، ولا مع أهلِ البدعِ فِي بدعِهم، وصبروا على سُنتهم حتى لقوا ربهم".

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الثبات.

وَمَنْ تمسكَ بِالسُّنّة حققَ إيمانهُ واتباعهُ لمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ ابتدع فقد اتهمَ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيانة، شاءَ أم أبى.

قال ابنُ الماجشون: "سمعتُ الإمامَ مالكًا رَحِمَهُ اللهُ يقول: مَنْ ابتدعَ فِي الإسلامِ بدعةً يراها حَسنة، فقد زعمَ أن مُحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خانَ الرِسالة؛ لأن اللهَ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذٍ دينًا، فلا يكونُ اليومَ دينًا".

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: وَترك الْخُصُومَات، والجلوسِ مع أصحاب الأهواء.

(الشرح)

اللهُ أكبر، هذا الأصل يا إخوة مِنْ أصول أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أصلٌ عظيم: تركُ الجدلِ والخصوماتِ فِي الدين مع أهل الأهواءِ والبِدع، فأهلُ البدعِ يا إخوة لا يُخاصمون، وإنما يُعرضُ عليهم الحق ويُكتفى.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا زعيمٌ ببيتٍ فِي ربض الجنة لِمَنْ ترك المِراءَ وإن كانَ مُحقًا».

قالَ ابنُ أبي زيد القيرواني فِي الرسالة، فِي منهجِ أَهْل السُّنَّة: "وتركُ المِراءِ والجِدالِ فِي الدين، وتركُ كُلِّ ما أحدثهُ المُحدثون".

وقال محمد بن حُسين بن علي: "الخصومةُ تمحقُ الدين، وتُنبتُ الشحناءَ فِي صدورِ الرِجال".

وقال الإمامُ الشافعي: "المراءُ فِي الدينِ يُقسي القلب ويُورثُ النِفاق".

وأهلُ الأهواء كَمَا قُلت: يُعرضُ عليهم الحَق، وتُقامُ عليهم الحُجة مِنْ قادرٍ، ولا يُخاصمونَ؛ لأن مُخاصمتهم لا تُفيدهم شيئًا:

وما أجملَ قول بعض مشايخنا: اسحبهم إلى طريقك، ولا تنزل إلى طريقِهم.

"اسحبهم إلى طريقة" بعرض السُنة، "ولا تنزل إلى طريقهم" فتُخاصمهم بنفسِ طريقِهم، فإنهم لا ينتفعونَ بذلكَ شيئًا، وهم يخوضونَ فِي آياتِ الله بغيرِ عِلم، فلا تخض معهم.

وقد تُمكنهم عند خصومتكَ لهم مِنْ عرض باطلهم على مسامع النَّاس، فقد يقعُ ذلكَ فِي قلوبِ النَّاس، وقد تقودُ بعض النَّاس إلى السقوط فِي البدعة بسبب مُخاصمتكَ لأهلِ الأهواء.

قال أبو قلابة: "لا تُجالسوا أصحابَ الأهواء، ولا تُجادلوهم؛ فإني لا آمنُ أن يغمسوكم فِي ضلالِهم، أو يُلبسوا عليكم ما تعرفون".

وكم يا إخوة عبرَ التاريخ ممن لم يُطع أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة مُغترًا بأنه يعرف، فسقطَ فِي براثنِ أهل البدع.

وقال النخعي: "لا تُجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تُكلموهم، فإني أخافُ أن ترتدَ قلوبكم"، يعني مِنْ السُّنّة إلى البدعة.

وعن الحسن البصري: أن رجلًا مِنْ أهل الأهواء أتاه، فقال: يا أبا سعيد، إني أُريدُ أن أُخاصمك. إني أُريدُ أن أُجادلك. فقال له الحسن البصري: إليكَ عني فإني قد عرفتُ ديني، وإنما يُخاصمُكَ الشاكُ فِي دينه.

قيلَ للحسن ابن عُتيبة: ما اضطرَ النَّاس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها؟ ما الذي قادهم إلى الدخول فِي الأهواء؟

قال: الخصومات.

وقال الفضلُ بن عياض: "لا تُجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضونَ فِي آيات الله".

وجاء فِي طبقات الحنابلة: أن الإمامَ أحمد سُئل: يا أبا عبد الله أكونُ فِي مجلسٍ ليسَ فيه مَنْ يعرفُ السنة غيري، فيتكلمُ مُبتدعٌ فيهِ، أأردُ عليه؟

فقال رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه ورحمه: لا تنصب نفسك لهذا، أخبره بِالسُّنّة ولا تُخاصمه".

وهذا يُفسر مُراد الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ هنا ومُراد أئمة السنة هنا.

والأمر الثاني: مُجالسة أصحاب الأهواء؛ فإنَ مَنْ يُجالس صاحب بدعة لا يسلم.

قال سفيان الثوري: مَنْ جالسَ صاحب بدعةٍ لم يسلم مِنْ إحدى ثلاث:

- إما أن يكونَ فتنةً لغيرة.

إذا كان يدخل ويخرج على أهل الأهواء وهو رجل صالح عند النَّاس، سيقولون: لو كان فيهم شيء ما جالسهم، فيكون فتنةً لغيره.

- وإما أن يقعَ فِي قلبهِ شيء، فيزِلَ به، فيُدخلهُ الله النار.

- وإما أن يقولَ: واللهِ ما أُبالي ما تكلموا به، وإني واثقٌ بنفسي، فمن أمنَ اللهَ على دينهِ طرفةَ عين سلبهُ إياه.

إياكَ أن تغتر، بل كُن دائمًا حريصًا حذرًا، حريصًا على التوحيد، حذرًا مِنْ الشرك، حريصًا على السُّنّة، حذرًا مِنْ البدعة، وإياك أن تقول: أنا بحمد الله موحد ومع الموحدين، مَنْ غفلَ أُخذ.

إياك أن تقول: أنا مع أَهْل السُّنَّة، وتغفل عن البدع وتتساهل مع أهل البِدع، مَنْ غفلَ أُخذ.

قال ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا: "لا تُجالس أهل الأهواء؛ فإن مُجالستهم مُمرضةٌ للقلبِ".

وقال إسماعيل الطوسي: إياكَ أن تجلسَ مع صاحبِ بدعة.

وقال الإمامُ أحمد: أهلُ البدعِ لا ينبغي لأحدٍ أن يُجالسهم، ولا يُخالطهم، ولا يأنسَ بهم.

قال ابنُ قدامه رَحِمَهُ اللّٰهُ: كان السلف ينهونَ عن مُجالسةِ أهل البدع، والنظرِ فِي كُتبهم.

وقيلَ للأوزاعي. -واسمعوا هذه يا إخوة، ما أجملها-، قِيلَ لها: إن رجُلًا يقول: أنا أُجالسُ أَهْل السُّنَّة وأُجالس أهل البدعة. فقال: هذا يُريدُ أن يساويَ بين الحق والباطل.

وكلامُ السلفِ فِي هذا طويل، وأُنبهُ هنا: إلى أَنَّه لا يُعابُ الرجلُ لو جلسَ إلى صاحبِ بدعةٍ وهو لا يعلمُ أَنَّه صاحب بدعة، لكن يُنصحُ ويُعلم ويُنبه أن هذا صاحب بدعة، فحقهُ على إخوانه أن يُعرفوه، وأن يُحذروه.

قال البربهاري: إذا رأيتَ الرجل يجلس مع رجُلٍ مِنْ أهل الأهواء، فحذرهُ وعرفه، فإن جلسَ معهُ بعدما عَلِم فاتقه؛ فإنهُ صاحبُ هوى.

كذلك عندَ أهل العلم، لا يدخلُ فِي ذلك الجلوسُ مع أهل البدعِ بغيرِ اختيار.

وأضربُ لكم مثالًا قريبًا منكم: أن يُجالسَ الطالبُ فِي قاعة المحاضرات أُستاذًا مِنْ أهل الأهواء، هو يُدرسه. أو يُجالس زُملاء مِنْ أهل الأهواء، هو ما جالسهم باختيارهِ، ولا يُجالسهم باختيارهِ. وكما لو جلسَ أُستاذٌ مِنْ أَهْل السُّنَّة بجوارِ أُستاذٍ مِنْ أهل الأهواء فِي مناقشة رسالةٍ علمية، هذه ليست مُجالسة اختيارية، فهذا لا يُذمُ به الرجل، ولا يدخل فِي هذا.

لكن ما علامة الأمر؟ أَنَّه لا يُجالسهم فِي الاختيار.

كذلكَ لا يدخلُ فِي ذلك: إذا اقتضت نُصرةُ الحقِ الجلوسَ معهم لبيان الحَق، وهذه حالة ضرورة، كَمَا جالسَ ابنُ عباسٍ الخوارج، ليُبينَ لهم الحق، وكما جالسَ الإمامُ أحمد القائلينَ بخلق القُرآن ليردَ باطلهم وليحميَ الأُمة؛ فإنه لو تنحى لظهرَ القولُ بخلق القُرآن، مع تشديد الإمام أحمد على مَنْ يُجالس القائلينَ بخلق القُرآن اختيارًا.

وهذا فقهٌ لابد مِنْ إدراكهِ حتى لا يوضع الجَمرُ مكان التمر، والتمرُ مكان الجَمر.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وترك المراءِ والجِدالِ والخصوماتِ فِي الدين.

وَالسُّنّةُ عندنا آثار رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الشرح)

نعم، أي أنَ السُّنّةَ التي يجبُ لزومها استدلالًا واعتقادًا واتباعًا هي كُلُّ ما ثبتَ عن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قولٍ أو فعلٍ أو تقرير، والعبرةُ عند أهلِ السُّنّةِ والجماعة بالثبوت، فمتى ثبتَ الحديثُ عن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذَ به أَهْل السُّنَّة، بخلافِ أهل البدع كَمَا قلنا، الذين يردونَ السنة أو يردونَ بعض السُنة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: والسنةُ تُفسرُ القُرآن، وهي دَلَائِلُ القُرآن.

(الشرح)

نعم، السُّنّة شارحةٌ للقُرآن، وموضحةٌ لما فِي القُرآن، والذي عليه أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: أن القُرآنَ يُفسرُ بالقُرآن، ويُفسرُ بِالسُّنّة، ويُفسرُ بآثارِ الصحابة، ويُفسرُ باللغةِ العربيةِ الصحيحة.

فالسُّنّة تُفسرُ القُرآن، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤].

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبينٌ للقُرآن، وموضحٌ للقُرآن، وهذه إحدى وظائف السنة عند أهل السنةِ والجماعة.

وَالسُّنّةُ قد تنفرد، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوتيَ القُرآن ومثلهُ معه، الذي هو السُّنّة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وليس فِي السُّنّةِ قياس، ولا تُضربُ لها الأمثال.

(الشرح)

انتبهوا لهذه الجملة، عظيمة. أي أن السُّنّةَ عند أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة: لا تُقابلُ بالقياس، ولا بالمعقول، ولا تُردُ بالعقول، ولا تُضربُ لها الأمثال، فإذا ثبتت السُّنّة ولم يكن لها مُعارضٌ مثلها، أو أعلى مِنها، فإنَ الوجبَ أن يؤمنَ العبدُ بها، وألا يردها بالقياس، ولا بكيف؟

يعني مثلًا: عندما حدثَ أحد المُحدثين بحديث: احتجاجِ موسى وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال أحدهم: كيفَ وبينَ آدم وموسى زمنٌ طويل؟

زجرهُ الخليفة الذي حُدثَ فِي مجلسه، وقال: يُحدثُكَ بحديثِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقول: كيف؟!

مِنْ المرض ومخالفةِ أَهْل السُّنَّة أن يقولَ الإنسان: عقلي لا يُصدقُ هذا.

نعم، ربما يكونُ عقلُكَ قاصرًا عن هذا، فإذا جاءت السُّنّة هي نور، فأنر بهِ عقلك، ولا تردَ به حديثَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بعض النَّاس يقول: نعم، هذا الحديث فِي صحيح مسلم، لكن عقلي ما يقبله.

هذه ليست طريقة أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، ولا على نهجِ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ولا تُدركُ بالعقولِ ولا الأهواء، إنما هو الإتباعُ وترك الهوىٰ.

(الشرح)

السُّنّة يا إخوة وحيٌ مِنْ الله، وحيٌ مِنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي أعلى مِنْ هذه الطُرق، ولا تُدركُ بالعقول، بل قد يكونُ العقلُ أقصرَ مِنْ أن يُدركَ ما فيها، لكن إذا جاءت السنة استنارَ العقلُ السليمُ بها، ولا يردُها عقلٌ سليم.

ولذلك أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يقولون: السُّنّةُ تُنيرُ العقلَ وتُصلحُ العقل.

وأهل الأهواء يُحكمونَ العقولَ فِي سُنّةِ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عن قول الإمام أحمد هذا: (ليسَ فِي السُّنّةِ قياسٌ، ولا يُضربُ لها الأمثال، ولا تُدركُ بالعقولِ)، قال: هذا قولهُ وقولُ سائرِ أئمةِ المسلمين؛ لأنهم مُتفقونَ على أنما جاء به

الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُدركهُ كُلُّ الناسِ بعقولِهم، ولو أدركوهُ بعقولِهم لاستغنوا عن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا: الْإِيمَان بِالْقدرِ خَيره وشره، والتصديقُ بالأحاديث فِيهِ، وَالْإِيمَانُ بهَا، لَا يُقَالُ لِمَ وَلَا كَيفَ، إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ بهَا.

(الشرح)

لما تقدمَ وجوبُ لزوم السُّنّة، ذكرَ الإمامُ رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ السُّنّةِ اللازمة التي هي عقيدة وأجمعَ عَلَيْهَا السلف: الإيمانُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِهِ مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والوقوفُ فيهِ عند النصوص، عند نصوص الكتاب وَالسُّنّة، وعدمُ التعمُّقِ فيهِ، وعدمُ البحثِ فيهِ فيما وراءَ ما جاءَ فِي النصوص، فالقدرُ سِرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أطلعَ العبادَ منهُ على ما يُصلحهم.

ولذلكَ لا يجوزُ الخوض فِي القدر بعدما جاء فِي النصوص.

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ذُكِرَ القدرُ فأمسكوا» رواه الطبراني، وصححهُ الألباني بطُرقه.

ولا يُقالُ فِي قدر الله (لِمَ) على سبيل الاعتراض؛ فإن اللهَ لكمالِ عدلِهِ، وكمال حكمتهِ لا يُسألُ بـ (لِمَ) على سبيلِ الاعتراض، مع الإيمان الجازم بأن كُلَّ قدر اللهِ عدلٌ، فإن اللهَ لا يظلمُ الناسَ شيئًا، والإيمان الجازم بكمال حكمة الله، فقدرُ الله هو الحكمة التامة.

يا إخوة والله مَنْ آمنَ بهذين الأصلين استقامَ فِي مسائل القدر:

- أن الله عدلٌ لا يظلمُ الناسَ شيئًا.
- أن الله حكيمٌ له الحكمةُ التامة.

فكُلُّ قدر الله عدلٌ وفيه الحكمةُ التامة.

وأن يعلم المؤمن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليمٌ، علمَ ما كانَ، وما يكونُ، وما لم يكن لو كان كيفَ يكون؛ فعلمهُ مُحيطٌ، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتبَ ما عَلِم، وأمرَ القلمَ بالكتابة فِي اللوح المحفوظ، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شاءَ وقوعَ المقدور، فإنَ ما شاءهُ الله كان، وما لم يشأهُ لم يكن، ولا يقعُ فِي كون اللهِ إلا ما يُريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

وأن اللهَ خلقَ الخلقَ وأفعالهم، فإذا آمنَ العبدُ بهذا وأدركَ أن ما أصابهُ لم يكن ليُخطئه، وما أخطأهُ لم يكن ليُصيبه.

يوقن أنهُ إذا وقعَ الشيء أَنَّه والله لو اجتمعَ الإنس والجِن والملائكة علىٰ أن يمنعوا وقعهُ ما اسطاعوا، وإذا فاتهُ شيء كان يرغبُ فيه، يوقن أَنَّه والله لو اجتمعَ الملائكة والجِن والإنس لإعطائه هذا الشيء ما استطاعوا.

فإذا آمنَ بهذا آمنَ بالقدر، واطمأنَ قلبه، وكان مِنْ السُعداء، إن أصابهُ خير شكرَ لأنه يعلم أَنَّه مِنْ فضل الله، وإن أصابتهُ ضراء صبرَ لأنه يعلمُ أنهُ مِنْ قدر الله، وأنَ ما أصابهُ لم يكن ليُخطئه، وأنَ فِي هذا العدل، وأنَ فِي هذا الحكمة.

هذا المقدار الذي عليه أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وفيهِ الخيرُ العظيم فِي هذا الأصل.

طبعًا الإمام رَحِمَهُ اللهُ يذكرُ أصلَ أَهْل السُّنَّة ويُلمحُ إلى طريقةِ أهل البدع فِي هذا الأصل، فأهل البدع يتعمقونَ فِي القدر، ويسألون بـ(لِمَ) و(كيف) ونحوِ ذلك، فعليكَ بطريقةِ أَهْل السُّنَّة، واحذر طُرقَ أهل البِدع.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغهُ عقلهُ فقد كُفي ذَلِك، وَأُحكمَ لَهُ؛ فَعَلَيهِ الْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّسْلِيمُ له، مثلُ: حَدِيث الصَّادِق المصدوق، وَمثلُ: مَا كَانَ مثلهُ فِي الْقدر، وَمثلُ: أَحَادِيث الرُّؤْيَة كلهَا، وَإِن نبت عَن الأسماع واستوحشَ مِنْهَا المُستمع وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَان بهَا وَأَن لَا يرد مِنْهَا حرفًا وَاحِد وَغَيرهَا من الْأَحَادِيث المأثوراتِ عَن الثِّقَات.

(الشرح)

اللهُ أكبر يا إخوة، هذا أصل ضابط فِي التعامل مع النصوص. التأويلُ يُرادُ به حقيقةُ الشيءِ ومآله، وكيفيتهُ، وهذا لا يعلمهُ إلا الله، ولا يُعلمُ إلا بالنص، ويُرادُ به معرفةُ المعنى، وهذا يُعرف.

والواجبُ الإيمانُ بما فِي نصوص الكتابِ وَالسُّنّة، وعدمُ ردِها، وعدمُ صرفِها عن معانيها الظاهرة، مع اعتقادِ ظاهرِ معانيها على الوجه اللائق، فإن ضعفَ العقل عن إدراكِ ما فيها. تحير، شك، تردد؛ فإنَ الواجبَ عليه ألا يردَ ذلك المعنى بسببِ هذا، بل يؤمنُ بهِ، ويُسلمُ ويأخذُ بتفسيرِ أئمة أَهْل السُّنَّة فقد بينوا وكفوا، وهم علاجٌ لقلبهِ.

ويطردُ هذا التردد بما ذكرهُ وقررهُ عُلماءُ أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

قال أبو يعلى مُفسرًا هذه الجملة التي معنا: قال: "فقولُ أحمد: وَمَنْ لم يعرف تفسيرَ الحديثِ ويبلغهُ عقلهُ، فقد كُفيَ ذلك، وأُحكمَ له معناه. يعني: قد كفاهُ ذلكَ أهلُ العلمِ وأحكموا له علمهُ، فَدُلَّ على التفسير. إذًا إذا ضَعُفَ عقلك عن فهم نص فِي الكتاب وَالسُّنّة ماذا تفعل؟ تردهُ؟ لا، تؤمنُ به، وترجعُ إلى كلامِ أئمةِ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة، فقد كُفيتَ الشأن.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: وَأَن لَا يُخَاصم أحدًا وَلَا يناظرهُ وَلَا يتَعَلَّم الْجِدَال؛ فَإِن الْكَلَامَ فِي الْقدرِ والرؤيةِ وَالْقُرْآنِ وَغَيرهَا من السُّنَنِ مَكْرُوهٌ ومنهيٍ عَنهُ، لَا يكون صَاحبه وَإِن أصَاب بِكَلَامِهِ السُّنَةَ من أهل السُّنّةَ حَتَّىٰ يدعَ الْجِدَال ويُسلمَ ويؤمنِ بالآثار.

(الشرح)

تقدم الكلام يا إخوة عن أصل أَهْل السُّنَّة فِي ترك الخصومات فِي الدين، وترك مُخاصة أهل الأهواء، والمقصود هنا: أن يكونَ المؤمنُ وقافًا عند النصوص، ولا يُخاصمُ فِي الدين، ولا يُدخلُ الأسئلة الاعتراضية على النصوص أبدًا، كُلُّ سؤالِ اعتراضٍ على النصوص الثابتة ممنوع، ولا يُخاصمُ أهلَ الأهواء، فإذا جاءوا يُخاصمونهُ بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، يُبيّنُ لهم السُّنّة كَمَا تقدم، ولا يُخاصمهم بطريقته.

والشيخ يؤكد هذا هنا ويؤكد أنَ مَنْ أصابَ كلامَ أَهْل السُّنَّة، لكنهُ تركَ طريقتهم فِي عدمِ المُخاصمةِ فِي الدين ومُخاصمة أهل الأهواء؛ فإنه لم يُصب السُّنّة.

يعني لو أن شخصًا يقول ما يقولهُ أَهْل السُّنَّة، ما غيرَ فِي كلامه، لكنهُ يُخاصم فِي الدين، ويدعو النَّاس إلى العقل كَمَا يقول، ويُخاصم أهل الأهواء؛ فإنه ليسَ مِنْ أَهْل السُّنَّة، حتى يدعَ هذا الطريق، ويسير على طريق أَهْل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: التسليم للنصوص وفهم معانيها كَمَا ذكرنا.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: وَالْقُرْآن كَلَام الله وَلَيْسَ بمخلوق، ولا يضعفُ أن يقولَ ليسَ بمخلوق؛ فإن كلامَ اللهِ ليسَ ببائنٍ منه، وليسَ منهُ شيءٌ مخلوق، وإياكَ ومُناظرةَ مَنْ أحدثَ فيه، ومَن قال باللفظِ وغيرهِ، وَمَنْ وقفَ

فيهِ فقالَ: لا أدري مخلوقٌ أو ليسَ بمخلوق، وإنما هو كلامُ الله؛ فهذا صاحبُ بدعةٍ مثلُ مَنْ قال: هو مخلوق، وإنما هو كلامُ اللهِ ليسَ بمخلوق.

(الشرح)

أي: مِنْ الأصول اللازمة التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ عَلَيْهَا أهلُ السُّنّة، واتفقت عَلَيْهَا كلمتهم: أن القُرآنَ جميعهُ كلامُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ غيرَ مخلوق، وأن اللهَ يتكلمُ متى شاءَ، كيفَ شاء، متى شاءَ سبحانه، بكلامٍ حقيقيٍ مسموع، بحرفٍ وصوت، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَالَ سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأضافَ الله الكلام إليه، وجعلهُ مِنْ صفتهِ، فَهُوَ ليس مخلوقًا.

والواجب على المؤمن أن يعتقدَ هَذَا، وأن يقول: القُرآنُ كلامُ الله. وأن يقول: غيرُ مخلوق.

مُراغمةً لأهل البدع الذين يقولون: القُرآنُ مُخلوق.

ولا يضعفُ المؤمن أن يقولَ: غيرُ مخلوق، ولا يتردد.

وكما تقدم: يتوقف عَنْد النصوص، وما دلت عَلَيْهِ النصوص، وما أجمع عَلَيْهِ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، ولا يُخاصمُ أهل الأهواء، ولا يخوضُ معهم فيما يُفرعونهُ فِي هذه المسألةِ العظيمة، بل يلزم النصوص مَا قالهُ أئمة أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة.

طبعًا يا إخوة كما قلت لكم: نحنُ نشرح شرحًا كُليًا، بإذن الله يُحقق المقصود، لَكِنّ لا نُفرع؛ لأن الوقت وقت الدورة واليوم العلمي، وقت محدود، وإلا فهذه الأصول لو أرادَ الشارحُ أن يشرحَ الأصلَ فِي مُجلد لا استطاع، لَكِنّ بإذن الله أن الَّذِي نشرحهُ يُحقق المقصود فِي تقوية الاعتقاد، والصيانة، وَهَذَا المُراد.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: وَالْإِيمَان بِالرُّؤْيَةِ يَوْم الْقِيَامَة كَمَا رُوِيَ عَن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الْأَحَادِيث الصِّحَاح، وَأَن النَّبِيَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رأىٰ ربه؛ فَإِنَّهُ مأثور عَن رَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيح رَوَاهُ قَتَادَة عَن عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ الحكم بن إبان عَن عِكْرِمَة عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ عَليّ بن زيدٍ عَن يُوسُف بن مهْرَان عَن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا،

والْحَدِيث عندنَا علىٰ ظَاهره كَمَا جَاءَ عَن النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْكَلَامُ فِيهِ بِدعَة، وَلَكِن نؤمنُ بِهِ كَمَا جَاءَ علىٰ ظَاهرِهِ وَلَا نناظرُ فِيهِ أحدًا.

(الشرح)

أي مِنْ السُّنّة اللازمة التي أجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة: الإيمانُ برؤية المؤمنينَ ربهم يومَ القيامة، وفي الجنة بالأبصار، كما جاءت بذلك السُّنّةُ الصحيحة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترونَ ربكم كما ترونَ القمرَ لا تُضامونَ فِي رؤيته»، وقالَ هَذَا فِي ليلة بدر، فِي ليلة والقمر بدر، والحديث مُتفقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترونهُ عيانًا» كما عِنْدَ الْبُخَارِيّ فِي الصَّحِيح.

وقد روى مُسلمٌ فِي صحيحه عَنْ صُهيب الرومي أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إذا دخلَ أهلُ الجنة الجنة، يقولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُريدونَ شَيْئًا أزيدكم؟ فيقولونَ: ألم تُبيض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتُنجنا مِنْ النَّار». قَالَ: «فيكشفُ الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبَ إليهم مِنْ النظرِ إلىٰ ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ».

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم مِنْ أهلها.

فهذا مَا يتعلق برؤية المؤمنينَ لربهم يومَ القيامة، وفي الجنة.

لَكِنّ هناك قضية ذكرها الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، وهي: رؤيةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربهُ فِي الدُّنْيَا.

قَالَ شيخُ الْإِسْلَام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: اتفقَ أئمةُ المسلمين على أنَ أحدًا مِنْ المؤمنين لا يرى اللهَ بعينهِ فِي الدُّنْيَا، إلا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيضًا انتبهوا للقضية الأولى: أئمةُ أهل السنة مُتفقون على أنه لا يرى أحدٌ اللهَ فِي الدُّنْيَا، -أي بعينهِ-.

قَالَ: (إلا فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة، مع أنَ جماهيرَ الأئمة على أنهُ لم يرهُ بعينهِ فِي الدُّنْيَا).

وعلى هَذَا دلت الآثارُ الصحيحةُ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصحابةِ وأئمةِ المُسلمين، ولم يثبت عَنْ ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، ولا عَنْ الإمامِ أحمد، وأمثالِهما: أنهم قالوا: إن مُحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربهُ بعينهِ.

☚ **انتبهوا للدقة.**

بل الثابتُ عنهم:

-إما إطلاق الرؤية (رأى ربه) لَكِنّ مَا قالوا: بعينهِ.

-وإما تقييد الرؤيةِ بالفؤادِ، أي بفؤادهِ.

وليسَ فِي شيءٍ مِنْ أحاديث المعراج الثابتة أنه رآهُ بعينهِ.

قُلتُ: قد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعلموا أنه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربهُ عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ يموت» رواه مُسلم. يعني تعلموا وعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربهُ حتى يموت. والأصل أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدخلُ فِي مثل هَذَا الخطاب.

وقد جاء عَنْ أبي ذرٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أنه قَالَ: سألتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأيتَ ربكَ؟ -سؤال مُباشر-، هل رأيتَ ربك؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نورٌ أنىٰ أراه»، وأنى تُقال للبُعد. رواهُ مُسلم.

أيضًا قَالَ أمنا عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا: «مَن حدثكَ أن مُحمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ رأبه، فَهُوَ كذاب -أو فقد كذب- » رواه الْبُخَارِيّ فِي الصَّحِيح.

ومعنى: «فقد كذب» يعني فقد أخطأ، وَهَذَا معناهُ فِي لسان السلف، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

ولا شك أنه ثبتَ عَنْ ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا بطُرق، أنه سُئِلَ: هل رأى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربهُ؟ فَقَالَ: نعم.

لَكِنّ مَا مقصودهُ؟

مقصودهُ بهذا الإجمال، فسرهُ نصًا، فقد جاء عِنْدَ مُسلمٍ فِي الصَّحِيح، عَنْ ابن عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ: «رآهُ بفؤادهِ مرتين».

وعلى هَذَا يُحمل كلام الإمام أحمد؛ فإن الإمامَ أحمد مَا جاء عنه نص أنه رآه بعينهِ، وإنما جاء عنه أنه رآه، وقد فسرهُ أكثرُ أصحابهِ بأنه رآهُ بفؤادهِ.

ولا شك أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ إنَّمَا استندَ على مَا جاء عَنْ ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا، وابنُ عباسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا فسرَ مُجملَ كلامهِ بنفسه، وأن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «رأىٰ ربهُ مرتين بفؤادهِ». وفي رواية وهي عِنْدَ الإمام أحمد: «بقلبه»، فهذا يوضحُ المقصود.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىَ: وَالْإِيمَان بالميزان يَوْم الْقِيَامَة كَمَا جَاءَ: «يُوزنُ العَبْدُ يَوْم الْقِيَامَة فَلَا يزنُ جنَاحَ بعوضة».

وتوزنُ أَعمال الْعباد كَمَا جَاءَ فِي الْأَثر، وَالْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ، والإعراض عَن مَن رد ذَلِك وَترك مجادلته.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة والتي يلزم اعتقادها وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة: الإيمانُ بالميزان، أن مِنْ الأصول: الإيمانَ بالميزان، وأنهُ ميزانٌ حقيقي لَهُ كفتانِ ولسان، قَالَ تَعَالىَ: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، وَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فدلَ ذلكَ على الميزان.

وفي صحيح الْبُخَارِيّ عَنْ أبي هريرة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كلمتانِ حبيبتانِ إلىٰ الرحمن، خفيفتانِ علىٰ اللسان، ثقيلتانِ فِي الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وعن أبي مالكٍ الأشعري رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطهورُ شطرُ الإيمان، والحمدُ للهِ تملأُ الميزان» رواهُ مُسلمٌ فِي الصَّحِيح.

وما الَّذي يوزن؟

➤ **توزنُ الأعمالُ نفسُها**، كما فِي حديث أبي هريرة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه الَّذِي ذكرناه: «ثقيلتانِ فِي الميزان».

➤ **ويوزنُ العاملُ نفسُهُ.** قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنه ليأتي الرجُلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامة؛ لا يزنُ عِنْدَ اللهِ جناحَ بعوضة، ويؤتىٰ بالرَجُلِ النحيف الضعيفِ دقيق الساقين؛ فإذا بِهِ يزنُ الجِبال» رواهُ الإمام أحمد.

ومعروفٌ قصةُ ابنِ مسعود رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه وأرضاه.

➤ **وتوزنُ الصحائف**، كما فِي حديث السجلات، عِنْدَ الترمذي وصححهُ الألباني.

فهذه كُلها توزن كما دلت عَلَيْهِ الأدلة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: وَأَن اللهَ تَعَالَىٰ يُكلمُ الْعبادَ يَوْم الْقِيَامَة لَيْسَ بَينهم وَبَينه تُرجمان، والإيمانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة ويلزمُ الإيمانُ بها، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة: الإيمانُ أن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكلمُ العبادَ يوم القيامة ليسَ بينهم وبينهُ تَرجمان -أو تُرجمان-.

وقد جاء فِي حديثِ عَدي بن حاتم رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنكم مِنْ أحدٍ إلا سيُكلمهُ ربه ليسَ بينهُ وبينهُ تُرجمان، فينظرُ أيمنَ منه فلا يرىٰ إلا مَا قدم، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرىٰ إلا مَا قدم، وينظرُ بين يديهِ فلا يرىٰ إلا النَّار، فاتقوا النارَ ولو بشقِ تمرة» مُتفقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ أبو بكر الخلال: أخبرني عليُّ بن عيسى أن حنبلًا حدثهم، قَالَ: قُلتُ لأبي عبد الله -أي للإمامِ أحمد-: اللهُ يُكلمُ عبدهُ يومَ القيامة؟!

قَالَ: نعم، فَمَنْ يقضي بين الخلائق إلا الله عَزَّ وَجَلَّ!

☚ يُكلمُ اللهُ عبدهُ، اللهُ مُتكلمٌ ولم يزل مُتكلمًا، يأمرُ بما يشاء، ويحكمُ بما يشاء.

وفي الصَّحِيْحَيْن أن رجُلًا أتى ابن عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: كيفَ سمعتَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فِي النجوى؟

قَالَ: سمعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن اللهَ يُدني المؤمنَ يومَ القيامة حتىٰ يضعَ عليهِ كنفه يسترهُ مِنْ النَّاس، فيقول: أي عبدي، تعرفُ ذنبَ كذا وكذا؟».

انتبهوا يا إخوة، يعرضُ عَلَيْهِ ذنبه، ولا يسألهُ لِمَ.

«تعرفُ ذنبَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، أي ربي. حتىٰ إذا قررهُ بذنوبه، ورأىٰ فِي نفسهِ أنه قد هلك، قَالَ: فإني قد سترتُها عليكَ فِي الدُّنْيَا، وقد غفرتُها لكَ اليوم».

فالله عَزَّ وَجَلَّ يُكلم عبده، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَأَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة جميعًا يؤمنونَ بهذا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: وَالْإِيمَانُ بالحوض، وَأَن لرَسُول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضًا يَوْم الْقِيَامَة، تَردُ عَلَيْهِ أُمته، عرضهُ مثل طولهِ مسيرَة شهر، آنيتهُ كعدد نُجُوم السَّمَاء، علىٰ مَا صحت بِهِ الْأَخْبَار من غير وَجهٍ.

(الشرح)

أي: مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة ويلزمُ اعتقادُها والإيمانُ بها، وأجمعَ عَلَيْهِ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة: الإيمانُ بحوضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرصاتِ يوم القيامة، وأنهُ تردُ عليهِ أُمته، فتشربُ الأُمةُ، ويُزادُ عنه أهلُ الأهواءِ والإحداث.

وأحاديثُ الحوضِ كما قَالَ العلماء: متواترة.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني والله لأنظرُ إلىٰ حوضي الآن» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَهَذَا يدل على أن حوض النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجود.

ويقولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن قدرَ حوضي كما بين أيلةَ وصنعاء مِنْ اليمن»، أيلة في الشام، وصنعاء في اليمن. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حوضي مسيرةَ شهرٍ، زواياهُ سواء» إذًا مُربع. مسيرة شهر بالسير السريع، في مسيرةِ شَهرٍ بالسيرِ السريع. وَهَذَا الحديث رواه مسلم في الصَّحِيح.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن فيهِ مِنْ الأباريق، كعددِ نجوم السماء» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. بل عددُ آنيتهِ أكثر مِنْ نجوم السماء، فقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لآنيتهُ أكثرُ مِنْ عددِ نجوم السماء» رواهُ مُسلمٌ في الصَّحِيح.

خُذوا قاعدة يا إخوة: إذا جاء في السُّنّة الصحيحة قدرانِ مُختلفان؛ فإنهُ يؤخذُ بالأعلى في الفضلِ؛ لأن فضل الله واسع.

☚ ويُحمل على أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا علمَ بالأقل، ثُمَّ علمَ بالأكثر.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: الْإِيمَان بِعَذَاب الْقَبْر، وَأَن هَذِه الْأمة تُفتنُ فِي قبورها، وتُسأَلُ عَن الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَام، وَمَن ربهُ، وَمَن نبيهُ. ويأتيه مُنكرٌ وَنَكِير، كَيفَ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَكَيف أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وثبتت بها السُّنّة، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، ويجبُ اعتقادها والإيمانُ بها: الإيمانُ بما يكونُ فِي القبر، مِنْ فِتنة القبر، وَمِنْ عذابِ القبر، بما دلت عَلَيْهِ الأَحَادِيْث، فقد جاء فِي سُنن الترمذي: «إذا قُبرَ الميت» أو قَالَ: «أحدكم»، «أتاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقانِ» يعني مِنْ شِدةِ سوادِهما كأنهما أزرقان، «يُقالُ لأحدهما المُنكر، وللآخر النكير، فيقولانِ: مَا كُنتَ تقولُ فِي هَذَا الرجل؟ فيقولُ مَا كان يقول: عبدُ اللهِ ورسولهُ، أشهدُ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولَهُ». وفي آخره: «وإن كان مُنافقًا قَالَ: سمعتُ النَّاسَ يقولون، فقلتُ مثلهُ: لا أردي. فيقولان: قد كُنا نعلمُ أنكَ تقولُ ذَلِكَ، فلا يزالُ فيها مُعذبا حتىٰ يبعثهُ الله».

وفي سُننِ أبي داود عَنْ البراء بن عازب رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، عَنْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فيأتيهِ ملكانِ شديدا الانتهار، فينتهرانهِ، ويُجلسانهِ، فيقولانِ لَهُ: مَنْ ربُك؟ مَا دينُك؟ مَنْ نبيُك؟ وهي آخرُ فتنةٍ تُعرضُ علىٰ المؤمن، فذلك حين يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فيقولُ: ربيَ الله، ودينيَ الْإِسْلَام، ونبيي مُحَمَّدٌ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن صدقَ عبدي». وَقَالَ فِي العبد الكافرِ أو الفاجر: «ويأتيهِ ملكان شديدًا الانتهار، فينتهرانهِ، فيُجلسانهِ، فيقولانِ لَهُ: مَن ربُك؟ فيقول: هاهِ، هاهِ، لا أدري. فيقولانِ لَهُ: مَا دينُك؟ فيقول: هاهِ، هاهِ –وتُضبط: هاه هاه– لا أدري. فيقولانِ: فما تقولُ فِي هَذَا الرجل الَّذِي بُعثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمهِ. فيُقالُ: مُحَمَّد. فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعتُ النَّاس يقولون ذَلِكَ»، قَالَ: «فيقولانِ: لا دريتَ ولا تلوت. فيُنادي مُنادٍ: أن كذبَ عبدي».

وفي الصَّحِيْحَيْن مِنْ حديثِ أنسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إن العبدَ إذا وضعَ فِي قبره، وتولىٰ عنهُ أصحابهُ، إنهُ ليسمعُ قرعَ نِعالِهم إذا انصرفوا، أتاهُ ملكانِ فيُقعدانه، فيقولانِ لَهُ: مَا كُنتَ تقولُ فِي هَذَا الرَجُلِّ مُحَمَّد؟ فأما المؤمنُ فيقول: أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولهُ. وأما الكافرُ أو المنافق – وفي رواية: وأما الكافر– فيقول: لا أدري، كُنتُ أقولُ مَا يقولُ النَّاسُ فيه. فيُقالُ: لا دريتَ ولا تليت».

وفي سُننِ أبي داود مِنْ حديثِ البراء بن عازب، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إن العبدَ المؤمن إذا كان فِي إقبالٍ مِنْ الآخرة، وانقطاعٍ مِنْ الدُّنْيَا، نزلت إليه الملائكة كأن وجوههم الشمس، معهم كفنٌ مِنْ

أكفان الجنة، وحنوطٌ مِنْ حنوط الجنة، فجلسوا منهُ مدَ البصر، ثُمَّ يجيءُ ملكُ الموت حتىٰ يجلسَ عِنْدَ رأسه، فيقولوا: يا أيتُها النَّفسُ الطيبة أُخرجي إلىٰ مغفرةٍ مِنْ اللهِ ورضوان»، قَالَ: «فتخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ مِنْ فِيّ السِقاء».

هنا يا إخوة عندما يُبشر -أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلني وإياكم مِنْ المُبشرين-، عندما يُبشر بهذا، يُحبُ لقاء الله، هَذَا موطن كونهِ يُحب لقاء الله، ليسَ المقصود أنه وَهُوَ حَيّ يُحب الموت، وإنما المقصود أنه عِنْدَ حضور أجله إذا بُشر؛ يُحبُ لقاء الله، فيُحبُ الله عَزَّ وَجَلَّ لقاءهُ.

قَالَ: «فيأخُذها» أي ملكُ الموت، «فإذا أخذها لم يدعوها فِي يدهِ طرفةَ عين» أي الملائكة، «حتىٰ يأخذوها فيجعلوها فِي ذَلِكَ الكفن وذلك الحنوط، ويخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مُسكٍ وُجدت علىٰ وجه الأرض، فيصعدونَ بها، فلا يمرونَ بها» يعني على ملأٍ مِنْ الملائكة «إلا قالوا: مَا هذه الروحُ الطيبة. فيقولونَ: فُلانُ ابن فُلان بأحسنِ أسمائهِ التي كانوا يُسمونهُ بها فِي الدُّنْيَا، حتىٰ ينتهوا به إلىٰ السماء، فيستفتحونَ لَهُ، فيُفتحُ لَهُ، ويُشيعهُ مِنْ كُلِّ سماءٍ مُقربوها إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ يُنتهىٰ بها إلىٰ السماء التي فيها الله، التي عَلَيْهَا عرشُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واللهُ مستوٍ علىٰ عرشه، فيقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتابَ عَبدي فِي عليين، وأعيدوهُ إلىٰ الأرض فإني منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرجهم تارةً أُخرىٰ»، قَالَ: «فتُعادُ روحهُ فِي جسده، فيأتيهِ ملكانِ فيُجلسانهِ فيقولانِ: مَنْ ربُك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان لَهُ: مَا دينُك؟ فيقول: ديني الْإِسْلَام. فيقولان لَهُ: مَا هَذَا الرجُل الَّذِي بُعثَ فيكم؟ فيقول: هُوَ رسولُ الله. فيقولانِ لَهُ: مَا عِلمُك؟ فيقول: قرأتُ كتاب الله فآمنت وصدقتُ. فيُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن صدقَ عبدي، فأفرشوهُ مِنْ الجنة، وألبسوهُ مِنْ الجنة، وأفتحوا لَهُ بابًا إلىٰ الجنة، فيأتيهِ مِنْ روحِها، وطيبِها، ويُفسحُ لَهُ فِي قبرهِ مَدَ بصره». قَالَ: «ويأتيهِ رَجُلٌ حسنُ الوجهِ، حسنُ الثيابِ، طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يَسُرُك، هَذَا يومُكَ الَّذِي كُنتَ توعد. فيقولُ لَهُ: مَن أنتَ فوجُهكَ الوجهُ الَّذِي يجيءُ بالخير؟ فيقولُ: أنا عملُكَ الصالح. فيقولُ: يا ربي أقسم الساعة؛ حتىٰ أرجعَ إلىٰ أهلي، ومالي».

قَالَ: «وإن العبدَ الكافرَ إذا كان فِي انقطعٍ مِنْ الدُّنْيَا، وإقبالٍ مِنْ الآخرة نزلَ إليهِ مِنْ السماءِ ملائكةٌ سودُ الوجوه، معهم المسوح، فيجلسونَ معهُ مدَ البصر، ثُمَّ يجيءُ ملكُ الموتِ حتىٰ يجلسَ عِنْدَ رأسهِ فيقولُ: أيتُها النَّفسُ الخبيثة أُخرجي إلىٰ سخطٍ مِنْ اللهِ وغضب»، قَالَ: «فتفرقُ فِي جسده، فينتزعُها كما يُنتزعُ

السفود مِنْ الصوفِ المبلول، فيأخذُها، فإذا أخذها لم يدعوها فِي يدهِ طرفةَ عين حتىٰ يجعلوها فِي تِلكَ المسوح، ويخرجُ منها كأنتنِ ريحٍ خبيثة وُجدت علىٰ وجه الأرض، فيصعدونَ بها، فلا يمرونَ بها علىٰ ملأٍ مِنْ الملائكةِ إلا قالوا: مَا هَذَا الروحُ الخبيث؟ فيقولونَ: فلانُ ابنُ فلان، بأقبحِ أسمائهِ التي كانوا يُسمونهُ بها فِي الدُّنْيَا، حتىٰ يُنتهىٰ بها إلىٰ السماء الدُّنْيَا، فيُستفتحُ لَهُ، فلا يُفتحُ لَهُ. ثُمَّ قرأ رسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾. فيقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتابهُ فِي سجين، فِي الأرض السُفلىٰ، فتُطرحُ روحهُ طرحًا، ثُمَّ قرأ ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾، فتُعادُ روحهُ فِي جسده، ويأتيهِ ملكانِ فيُجلسانه، فيقولانِ: مَن ربُك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري. فيقولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرجل الَّذِي بُعثَ فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيُنادي مُنادٍ مِنْ السماء: أن كذب، فأفرشوهُ مِنْ النَّار، وأفتحوا لَهُ بابًا إلىٰ النَّار؛ فيأتيهِ مِنْ حرِها وسمومِها، ويُضيقُ عَلَيْهِ قبرهُ حتىٰ تختلفَ أضلاعه. ويأتيهِ رجلٌ قبيحُ الوجهِ قبيحُ الثياب، مُنتنُ الرِيح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هَذَا يومُكَ الَّذِي كُنتَ توعد. فيقولُ: مَنْ أنت، فوجهُكَ الوجهُ الَّذِي يجيءُ بالشر؟ فيقولُ: أنا عملُكَ الخبيث. فيقولُ: ربي لا تُقم الساعة».

☚ فهذا الحديث فيه الفِتنة وفيهِ العذاب، وثبتَ فِي أحاديثَ كثيرة، العذابُ فِي القبر، بل ثبت أن النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمِعَ بعضَ أصوات المُعذبينَ فِي قبورِهم. فآمنا بهذا، وأجمعَ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة علىٰ الإيمان بذلك.

ولذلك إذا رأيتَ مَنْ يردُ فتنة القبر، أو يرد عذاب القبر، فاعلم مُباشرة أنه ليس مِنْ أهل السُّنّة، هذه مِنْ العلامات.

هذه الأصول يا إخوة كما قُلت: يتميزُ بها أهلُ السُّنّة عَنْ غيرِهم، ويتميز بمخالفتِها أهلُ الأهواء.

ولذلك اجعل هذه الأصول ميزانًا، مَنْ وجدتهُ يُخالفُ فِي واحدٍ منها، فاعلم أنه ليسَ مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: وَالْإِيمَانُ بشفاعة النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقومٍ يخرجُون من النَّار بَعْدَمَا احترقوا وصاروا فحما، فَيُؤْمَر بهم إِلَىٰ نهرٍ علىٰ بَابِ الْجنَّة، -كَمَا جَاءَ فِي الْأَثر- كَيفَ شَاءَ اللهُ وكما شَاءَ، إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ بِهِ والتصديقُ بِهِ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة وأجمعَ أهلُ السُّنّةِ عَلَيْهَا: الإيمانُ بشفاعةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافعٌ مُشفع، لكنهُ لا يشفعُ إلا بعد أن يستأذنَ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- ولا يشفعُ لمُشرك.
- والشفاعةُ لَا بُدَّ فيها مِنْ إذنِ الله للشافع، ورضى الله عَنْ الشافعِ والمشفوعِ لَهُ.

انتبهوا لهذه النقطة الدقيقة:

➤إذن الله للشافع، لن يشفعَ أحدٌ بدونِ إذن الله؛ فإن الشفاعةَ جميعًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشفعُ حتى يستأذن.

➤ولن يُشفعَ إلا لمن رضيَ اللهُ عنه. سبحان الله!

طيب، الشفاعة تكون لأهل الْكَبَائِر، مِنْ الشفاعة الشفاعة لأهل الْكَبَائِر، فكيف أن الشُفعاء يوم القيامة لا يشفعونَ إلا لمن ارتضى الله عَزَّ وَجَلَّ؟!

الجواب: قالوا يعني: بالتوحيد، رضيَ اللهُ عنهُ بالتوحيد، وإن كان مُذنبًا، وَهَذَا يعني مَا قلناه: إن الشفاعة لا تكونُ للمُشرك، وإنما تكونُ للموحدين.

وشفاعةُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها شفاعة خاصة، وهي شفاعتهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقضاء بين النَّاس، وشفاعتهُ لدخول الجنة، وشفاعتهُ لعمهِ أبي طالب أن يُخفف عنه العذاب.

وهناك شفاعة عامة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيرهِ بإذن الله ورضاه، إلا أن النصيبَ الأعظمَ منها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ شفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ شفاعتهُ لقومٍ موحدين مِنْ أهل الْكَبَائِر، يستحقونَ دخولَ النَّار بذنوبِهم، ويشاء الله دخولهم النَّار، فيدخلونَ النَّار، فتشفع لهم الملائكة، ويشفع لهم الأنبياء عليهم السلام، ويشفع لهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشفع لهم الصالحون، ويشفع لهم المُجالسونَ لهم مِنْ الصالحين.

ولذلك احرص دائمًا على أن يكونَ جُلساؤكَ مِنْ أهل السُّنّةِ وأهل التُقى مِنْ أهل السُّنّة؛ لأن أهل السُّنّة درجات، الذين يُرجى أن يكونوا مِنْ أهل الجنة، فإن هؤلاء إذا اجتازوا الصراط، وأمنوا، ولم يروا إخوانهم

الذينَ كانوا يُجالسونهم مِنْ أهل التوحيد، شفعوا لهم. فأذنَ الله لهم، فدخلوا النَّار، وحرمَ الله أجسامهم على النَّار، فأخرجوا مَنْ يعرفون.

ويشفع النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن اللهَ يُخرجُ قومًا مِنْ النارِ بالشفاعة» رواهُ مُسلمٌ فِي الصَّحِيح.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن اللهَ يُخرجُ قومًا مِنْ النَّار بشفاعة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» رواهُ أبو داود والترمذي وابنُ ماجة، وصححهُ الألباني.

إذًا نؤمن أن هُناكَ مِنْ أهل النَّار مِنْ الموحدين؛ أهل الْكَبَائِر، مَن يخرجُ منها، بعدَ أن يدخلها، بشفاعة الشافعين -كما ذكرنا-.

وأعظمُ مِنْ هَذَا: برحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بعدَ أن يفرغَ الشُفعاء مِنْ الشفاعة. مَا أحلم الله، وما أرحم الله.

جاءَ فِي صحيحِ مسلم: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أما أهلُ النارِ الذين هم أهلُها فلا يموتونَ فيها ولا يحيون، ولكن ناسٌ أصابتهم النارُ بذنوبِهم، فأماتهم اللهُ إماتة، حتىٰ إذا كانوا فحمًا أذنَ بالشفاعة، فجيءَ بهم ضبائرَ ضبائر» يعني جماعات جماعات، «فبثوا علىٰ أنهار الجنة، ثُمَّ قِيلَ: يا أهلَ الجنة أفيضوا عليهم، فينبتونَ نباتَ الحِبَّةِ -أو الحِبَّةِ- تكونُ فِي حميل السيل».

وفي الصَّحِيْحَيْن: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنة، وأهلُ النارِ النَّار، ثُمَّ يقولُ اللهُ تَعَالىَ: أخرجوا مَنْ كانَ فِي قلبهِ مثقالُ حبةٍ مِنْ خردلٍ مِنْ إيمان».

وأحاديثُ الشفاعة يا إخوة متواترة، وأجمعَ عَلَيْهَا أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وإنما يُنكرُها أهلُ البدع كالخوارج والمُعتزلة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىَ: وَالْإِيمَانُ أَن الْمَسِيح الدَّجَّال خَارج، مَكْتُوبٌ بَين عَيْنَيْهِ كَافِر، وَالْأَحَادِيث الَّتِي جَاءَت فِيهِ، وَالْإِيمَان بِأَن ذَلِك كَائِن.

(الشرح)

مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة ويجبُ الإيمانُ بها، وأجمعَ عَلَيْهَا أهلُ السُّنّة: الإيمان أن المسيحَ الدجال. ومعنى المسيح الدجال فِي حقهِ –شديدُ الضالةِ الكذاب–، يُخرجهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي آخر الزمان، فتنة بما يُعطاهُ مِنْ الآيات: كإنزال المطر، وإحياء الأرضِ بالنبات، وغيرِها مِنْ الآيات.

وسُميَ مسيحًا لأنه أعور العين ممسوح العين.

وقيلَ: لأنه يمسح الأرض كُلها فِي أربعينَ يومًا، إلا مكةَ والمدينة.

والدجال هُوَ الكذاب، وَهَذَا هُوَ الدجالُ الأكبر، الكذابُ الأكبر، وفتنتهُ مِنْ أعظم الفِتن.

ففي صحيح مُسلم عَنْ عِمران بن حُصين رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه قَالَ: سمعتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا بين خلقِ آدمَ إلىٰ قيام الساعة خلقٌ أكبرُ مِنْ الدجال»، ليس بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبر مِنْ الدجال.

وفي رواية لمسلم: أمرٌ أكبرُ مِنْ الدجال.

وفي صحيح الْبُخَارِيّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأُنذركموه، وما مِنْ نبيٍ إلا أنذرهُ قومهُ، لقد أنذرَ نوحٌ قومهُ، ولكني أقولُ لكم فيهِ قولًا لم يقلهُ نبيٌ لقومه، تعلمونَ أنه أعور، وأن اللهَ ليسَ بأعور».

وفي الصَّحِيْحَيْن: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا بُعثَ نبيٌ إلا وأنذرَ أُمتهُ الأعورَ الكذاب».

إذًا يا إخوة، هَذَا مما جاء به الأنبياء جميعًا، «إلا أنه أعور، وإن ربكم ليسَ بأعور، وإن بين عينيهِ مكتوبٌ: كافر –ك – ف– ر–، يقرؤها كُل مؤمن قارئ أو غير قارئ».

وأهل السُّنّة يؤمنونَ بهذا إيمانًا جازمًا، ويُصدقونَ بكُل الأَحَادِيْث الصحيحة التي وردت فِي شأنِ الدجال.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَن عِيسَىٰ ابْن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلَام ينزل فيقتله بِبَابِ لُدٍ.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة، ويجبُ الإيمانُ بها، وأجماعَ أهل السُّنّة: أن نبيَ الله عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزلُ، وذلكَ أن اليهودَ ظنوا أنهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما قتلوه، بل اليقينُ أنهُ رُفعَ،

كما قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

واللهُ عَزَّ وَجَلَّ أشارَ فِي القُرآن إلى أنه سينزل فِي آخر الزمان، وأنه مِنْ علامات الساعة، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١].

وَقَالَ سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: عِنْدَ نزولهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وأخبرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عددٍ مِنْ الأَحَادِيْث أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يطلبُ الدجالَ حتىٰ يُدركهُ بابِ لُد» وَهَذَا فِي فلسطين، «فيقتلهُ»، رواه مُسلمٌ فِي الصَّحِيح.

وروى ابنُ حبان أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يقتلُ ابنُ مريمَ الدجالَ بباب لُدّ».

➤إذًا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزلُ قبل قيام الساعة، ويحكمُ بشريعةِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقتلُ الدجال، والدجال إذا رآه يخافُ فينماع، لَكِنّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدركهُ بضربةٍ، فيُقتلُ مسيحُ الضلال بيدِ مسيح الهُدى.

◆مسيح الضلال: المسيح الدجال. قلنا: سمي بالمسيح الدجال لأن عينهُ ممسوحة وَهُوَ أعور، وقيلَ: لأنه يمسح الأرض فِي أربعينَ يومًا. والدجال لأنه رأس الدجالين.

◆وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مسيح الهُدى لأنه كان يمسح على المريض فيُشفى، وَهُوَ نبيٌّ مِنْ أنبياء الله، بل هُوَ مِنْ أُولي العزم مِنْ الرُسُل.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: وَالْإِيمَانُ قَولٌ وَعمل، يزِيدُ وَينْقص، كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَر: «أكملُ الْمُؤمنِينَ إِيمَانًا أحْسنهم خُلقا»، «وَمَن ترك الصَّلَاةَ فقد كفر»، «وَلَيْسَ من الْأَعْمَالِ شَيْءٌ تَركه كُفرٌ إِلَّا الصَّلَاة» ومن تَركهَا فَهُوَ كَافِر وَقد أحلَ اللهُ قَتله.

(الشرح)

أي مِنْ الأصول التي جاءت بها السُّنّة ويجبُ الإيمانُ بها، وأجمعَ عَلَيْهَا أهلُ السُّنّة، وخالفَ فيها مُبتدعة: الإيمان بأن الإيمانَ قولٌ وعمل.

أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة اختلفت ألفاظُهم واتحدَ مقصودُهم، فاتفقوا على أن الإيمانَ نُطقٌ مع القُدرة، واعتقادٌ جازم، وعملٌ ظاهرٌ مُصدق، كُلُّها مِنْ حقيقة الإيمان، لا يُغني واحدٌ عَنْ واحد.

الإيمانُ نُطقٌ مع القُدرة، فَمِنْ لم ينطق بالشهادتين مع القُدرة؛ فَلَيْسَ بمؤمن. مَنْ اعتقد فِي قلبه وعمل مع النَّاس الخير، لَكِنّ أبى أن يشهد (أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ الله) وَهُوَ قادر، فليسَ بمؤمن.

ومَنْ نطقَ بالشهادتين ولم يعتقد بقلبه، فَلَيْسَ بمؤمن.

ولو نطقَ وعملَ؛ مثل المنافقين فِي زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا يشهدون (أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأن مُحَمَّدًا رَسُول الله)، ومع الصَّحَابَة رضوان اللهِ عليهم، ويفعلون مَا يفعلهُ الصَّحَابَة، لكنهم مَا اعتقدوا، بل كانوا يُبطنونَ الكُفر -كما سيأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ-.

ومَن نطقَ واعتقدَ، ولم يأتِ بعملٍ ظاهرٍ مُصدق؛ فليسَ بمؤمن. والعمل الظَّاهِر المُصدق هُوَ العملُ الواجبُ الَّذِي يُتقربُ به إلى الله. مَا هُوَ أي عمل، العمل الواجب الَّذِي يُتقربُ به إلى الله، فلو أن شخصًا مسحَ رأسَ يتيم، مَا تقربَ به إلى الله، هَذَا مَا عمل.

انتبهوا لهذه القضية.

وَأَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة هنا على فريقين:

-فريقٌ كما قَالَ الإمام أحمد: يقولُ: إن العملَ المُصدقَ مُعينٌ وَهُوَ الصَّلَاة، فَمِنْ نطقَ بالشهادتين، واعتقدَ اعتقادًا جازمًا بقلبهِ مع أعمال القلوب، وصلى؛ فَهُوَ مؤمن.

ومَنْ نطقَ بالشهادتين واعتقدَ اعتقادًا جازمً بقلبهِ مع أعمال القلوب، ولم يُصلِّ؛ فَهُوَ كافر.

وَهَذَا الراجح، وَهَذَا الَّذِي نعتقده، أن العملَ الظاهرَ المُصدقَ للإيمانِ وَهُوَ مِنْ الإيمان: الصَّلَاة.

إِذًا اتفقَ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة علىٰ أَنَ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيّة. أو قولٌ وعملٌ واعتقاد.

ولاحظوا يا إخوة أنهم فِي العمل مَا قالوا: (والعمل)، وإنما قالوا: (وعمل) وعمل مُصدق. لأنه إذا أتى الإنسان بالعمل المُصدق، فبقية الأعمال يزيدُ بها الإيمان وينقص.

ثُمَّ اختلفوا كما قُلت، فِي هَذَا العمل المُصدق، فَقَالَ جماعةٌ مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة: إنه الصَّلَاة. وقد دلت على ذَلِكَ أدلة كثيرة، منها قول اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

فإن تابوا مِنْ ماذا؟ مِنْ الشركِ، ووحدوا. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

مَا مفهوم الآية؟

مِنْ مفهومِها: إن تابوا ولم يُقيموا الصَّلَاةَ، فليسوا إخوانكم فِي الدين.

طيب، يُشكل أمر الزكاة: نقول: الزكاة خرجت بدليل، فالراجح: أنَ مَنْ واحدَ وأتى بالشهادتين، وصلى، ولم يؤدي الزكاة لا جحودًا لوجوبِها، لا يكفر؛ لأنه جاء فِي الحديث: «فيُرىٰ سبيلهُ إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النَّار». فعرفنا أن الزكاة خرجت، فبقيت الصَّلَاة كما هي فِي هذه الآية.

أيضًا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن بينَ الرَجُلِّ وبين الشِّركِ والكُفر ترك الصَّلَاة»، وَهَذَا عِنْدَ مُسلمٍ فِي الصَّحِيح.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العهدُ الَّذِي بيننا وبينهم الصَّلَاة؛ فَمَنْ تركها فقد كفر» رواهُ أحمد وأبو داود والنسائي وابنُ ماجة بإسنادٍ صحيح.

والأدلة كثيرة، منها مثلًا: مَا فِي صحيحِ مُسلم: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ستكونُ أهواء فتعرفونَ وتُنكرون، فَمَن عرفَ برئ، ومَن أنكرَ سَلِم، ولكن مَن رضيَ وتابع». قالوا: أفلا نُقاتلهم؟ قَالَ: «لا، مَا صلوا»؛ لأن صلاتهم تُبقي إيمانهم، أما لو تركوا الصَّلَاة فَإِنَهُم يكفرون.

والأدلة كثيرة جدًا، وصحابةُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُعظمونَ ترك الصَّلَاة تعظيمًا كبيرًا، وثبتَ عَنْ عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه أنه قَالَ: لا حظَ فِي الْإِسْلَام لمن تركَ الصَّلَاة.

وجاء عَنْ عبد الله بن شقيق التابعي، مِنْ كِبار التابعين، أنه قَالَ: كان أصحابُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يرونَ شَيْئًا مِنْ الأعمالِ تركهُ كُفر غيرَ الصَّلَاة.

☚ **انتبهوا يا إخوة، أنا أتكلم فِي شيء فِي غاية الأهمية فِي مسألة الإيمان:** مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة مَنْ يرى أن العملَ المُصدقَ وَهُوَ مِنْ الإيمان هُوَ الصَّلَاة، لَكِنّ لهذا مفهوم مُخالفة؟ بمعنى: أن نقول كما يقولُ بعض النَّاس: إنَ مَن لا يرى أن تركَ الصَّلَاةِ كُفرٌ، لا يكونُ مِنْ أهل السُّنّة؟ **الجواب:** لا.

أئمة مِنْ أئمة الْإِسْلَام مَا يرون أن ترك الصَّلَاة كسلًا كُفر.

ولذلك مِنْ دقيق فقه الإمام ابن عبد البر، أنه لما جاء إلى مسألة ترك الصَّلَاة كسلًا، ذكرَ أولًا: المُرجئة والمعتزلة والخوارج، ثُمَّ قَالَ: وبعدَ أن فرغنا مِنْ كلامِ أهلِ البدع، نذكرُ كلامَ أهل السُّنّة، فذكرَ خلاف أهل السُّنّة، ففرق. لِمَ؟

لأن أهل البِدع يا إخوة لا يرونَ أن ترك الصَّلَاة كُفر، بناءً على أصولهم الفاسدة.

ومنهم مَنْ يرى أن ترك الصَّلَاة كُفر بناءً على أصولهم الفاسدة.

أما أهل السُّنّة فالمدار عندهم على الأدلة، الخلاف مبني على الأدلة، ولكن يأتي هنا الفريق الثاني مِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة، وهم الذين يرونَ: أن العملَ المُصدقَ للإيمان عملٌ مِنْ الأعمال الواجبةِ يفعلهُ العبدُ تقربًا.

فإذا نطقَ، واعتقدَ، وعمِلَ عملًا واجبًا تقربًا إلى الله، حصلت عنده حقيقة الإيمان، حصلت فيه حقيقة الإيمان.

والشاهدُ: أن إمامنا الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أرادَ هنا أن يقول: **إن الإيمانَ نُطقٌ مع القُدرةِ وَهُوَ القول**، النطق بالشهادتين مع القُدرة. **واعتقادٌ**، وَهُوَ اعتقادُ القلب الجازم مع أعمال القلوب، **وصلاة**.

وَهَذَا الَّذِي نقولهُ، وَهَذَا الَّذِي نعتقده: أن حقيقة الإيمان مُركبة مِنْ هَذَا، فإذا اختلَ واحدٌ اختلَ الإيمان.

وَمِنْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة مَنْ يقول: إن الإيمان قول واعتقاد وعملٌ ظاهر.

وفسرنا العمل الظَّاهِر عندهم، فإذا فعلَ عملًا واجبًا، حتى لو تركَ الصَّلَاة، يكونُ مؤمنًا، وَلَكِنّ لا شك أنه ناقص الإيمان.

إذًا يترتب على هَذَا وَهُوَ أن الأعمال أعمال الجوارح مِنْ الإيمان، أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعاصي، ومَنْ توقفَ مِنْ السلف عَنْ القول بالنُقصان، ليسَ لعدم الاعتقاد، وإنما للوقوف مع النص.

انتبهوا يا إخوة: مِنْ الأمور العقلية القطعية أن الَّذِي يزيد، ينقص. فإذا قلت: يزيد، اعتقدت أنه ينقص، لَكِنّ مَن توقف كالإمام مالك، إنَّمَا توقفَ فِي إطلاق النقصِ مِنْ أجلِ عدم ورودهِ فِي النصِ، لا لعدمِ الاعتقاد.

فلعلنا نقف هنا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.